المقدمة

محمد ﷺ خاتم النبيين ورسول الله تعالى الى البشرية أجمعين والذى وصفه الله تعالى بالخلق الرفيع، فكان مثلا أعلى للأخلاق، قال تعالى **﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾**(١).

وقد ظل محمد ﷺ رمزا للوفاء المطلق لكل شيء خاصة للمرأة لما لها من ضعف معروف، وحنان دافق.

ولد ﷺ يتيم الأب، ولم يرتشف من حنان الأمومة إلا اللمم، حيث توفيت أمه (آمنة) وهو مايزال يخطو نحو السادسة من عمره بعد أن حرم منها فترة رضاعته فى بادية بنى سعد، إلا أنه «ﷺ» ظل يذكرها طيلة حياته ويترحم عليها ويطلب لها المغفرة من الله تعالى.

كذلك كان ﷺ يكرم أمه من الرضاعة (حليمة السعدية) «رضى الله عنها» ويصلها ويبسط لها رداءه ويحنو عليها حتى وفاتها كما أكرم ﷺ «ثويبه» جارية عمه أبى لهب التى أرضعته عدة أيام حتى أخذته «حليمة» لترضعه فى بادية بنى سعد.. حتى أنه كان يصل ابنها مسروح بعد وفاتها حتى توفى هو أيضا بعدها.

كذلك حاضنته أم أيمن «بركة» التى ظلت ترعاه حتى إذا كبرت، زوّجها رسول الله ﷺ من زيد بن حارثه وكان يقول عنها (هذه بقيه أهل بيتى).

---

(١) سورة القلم، الآية ٤.

كما كان رسول الله ﷺ وفيا لامرأة عمه فاطمة بنت أسد (رضى الله عنها) وهى زوج عمه أبى طالب، وكان يقدّرها ويعتّز بها حتى أنه نزل فى قبرها، وألبسها قميصه، واضطجع فى قبرها لتكسى من حلل الجنه وليهوّن عليها عذاب القبر وفاء لها لأنها كانت بارة به.

أما عن (الشيماء) أخت محمد ﷺ من الرضاعة والتى كانت تحمله فى طفولته، فقد كان ﷺ يبسط لها رداءه ويبرّها ويحسن اليها. وكذلك كان ﷺ بارا بجميع محارمه عماته وخالاته ونساء أهل بيته.

أما محمد ﷺ الأب فقد كان رفيقا ببناته كريما معهن، أرادهن مثلا يُحتذى لأهل البيت فى الزهد والتقشف، خاصة فاطمة (رضى الله عنها) التى كنيت (أم أبيها) لشدة حبها له « صلى الله عليه وسلم» وكانت أحب بناته اليه، وكان يغضب لغضبها، ويقول لها (يا فاطمة إن الله يغضب لغضبك).

وقد كان موقفه من على بن أبى طالب (رضى الله عنه) حينما أراد أن يخطب جويرية بنت أبى جهل ما يؤكد انتصاره لفاطمة وحبه لها «رضى الله عنها».

أما حفيداته فقد كان يدللهن، ويحملهن على عاتقه حين يصلى ليضعهن اذا ركع، ثم يحملهن مرة أخرى حبا لهن وتدليلا لطفولتهن.

أما محمد ﷺ الزوج، فقد كان مثلا رائعا فى كل موقف له مع أزواجه، فقد ظل «ﷺ» مع زوجته خديجه «رضى الله عنها» وفيا لها طيلة حياته معها، فلم يتزوج عليها أى امرأة أخرى رغم كبر سنها، كما ظل وفيا أيضا لها بعد وفاتها، فكان يحب حبيبها ويكرم صديقها ويرحب بكل ما له صلة بها ويهش له.

أما علاقاته ﷺ مع سائر نسائه فقد كان مثلا أعلى للزوج الوفى العادل الحكيم فى كل موقف، عرف المرأة، بعمق وأعطى لأزواجه حقوقهن كامله، كان ﷺ عظيما ـ وهو دائما كذلك ـ فى كل موقف مع أزواجه رضى الله عنهن، خاصة فى المواقف التى اقتضت من الرجل أن يقرر أمورا خطيره تغير من مسار حياته أو تهدد أمان أسرته، فقد كان موقفه عظيما حكيما صامتا فى حادثة الإفك التى اتهمت فيها عائشة فى شرفها ظلما وبهتانا حتى برأها الله تعالى من فوق سبع سموات لتكون مثلا فى الطهارة والشرف.

كذلك أيضا حينما حاولت نساؤه أن يتكتلن عليه مطالبات بزيادة النفقه حتى أنه اعتزلهن شهرا، لم يقبح فيها ولم يتطاول عليهن، ولكنه اعتزلهن شهرا صامتا متجنبا معاملاتهن، حتى نزل القرآن الكريم يخيرهن بين الحياة الدنيا ومتاعها الزائل، وبين اتباع نهج رسول الله ﷺ فى الزهد والتقشف، وترك الدنيا وزينتها وراء ظهورهن، فاخترن جميعا الله ورسوله. هذا بالإضافة إلى مواقف عديدة له ﷺ مع نسائه، سنشهدها من خلال السطور القادمة «بمشيئة الله تعالى».

أما عن خلقه ﷺ مع نسائه وأهل بيته، فقد وصفته السيدة/ أم المؤمنين عائشه رضى الله عنها فقالت: (كان خلقه القرآن) كما روى عنها رضى الله عنها أنه ﷺ (كان أحسن الناس خلقا، لم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا فى الأسواق، ولا يجزى السيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح).

كذلك روت عنه رضى الله عنها أنه (كان ألين الناس، وأكرم الناس، وكان رجلا من رجالكم إلا أنه كان ضاحكا بساما).

وكان ﷺ متواضعا الى أقصى حد فى بيته حتى أنها كانت تقول عنه رضى الله عنها (كان عند مهنه أهله) ﷺ وكان رفيقا رقيقا مع أزواجه

رضى الله تعالى عنهن وكان حديثه المأثور ﷺ (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى) وفى حديث آخر (خيركم خيركم لزوجه وأنا خيركم لزوجى)[1].

أما عن علاقته ﷺ بالمرأة بصفة عامة، فقد كان ـ كما نعرف ـ المثل الأعلى للمؤمنين رجالا ونساء، فهو المعلم الأول والهادى للبشرية أجمعين، الى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وكان ﷺ رفيقا بالمرأة وحديثه المعروف لبلال (رفقاً بالقوارير) ما ينم عن ذلك، ولكنه أعطى لها حقها الكامل مثلها مثل الرجل فى كل ميادين الحياة.

وقد كان للمرأة دور بارز فى مدرسة رسول الله ﷺ، فاتخذن منه الأسوة الحسنة، وكانت هناك رائدات بارزات فى بناء الأمة الإسلامية فى عهد رسول الله ﷺ وما بعده، ضربن بذلك المثل الأعلى فى التفوق فى ميادين عديده سواء أكان ميدان الجهاد فى سبيل الله بالهجرة، أم بحمل السلاح، أم بالجهاد بالنفس والمال والولد.. أم فى ميدان رواية الحديث الشريف بعد رسول الله ﷺ، أم الشاعرات، أو الفقيهات.. أم غير ذلك من ميادين الحياه التى ساهمت فى بناء دولة الاسلام، فكانت لهن بصمات واضحه امتدت عبر التاريخ، حتى يومنا هذا..

وإن دل هذا على شيء، فإنما يدل على أن المرأة كانت جنبا الى جنب بجوار الرجل، وكان ﷺ يرحب بذلك ويشجعه، وله ﷺ مواقف عديدة معهن، كان يستشيرهن ويستمع اليهن سواء فى بيته أو خارجه، مع أهل بيته أو مع غيرهن من النساء، خاصة وأنه ﷺ كان يحترم المرأة احتراما كبيرا، ويقدر لها كيانها، ورأيها خاصة اذا كان رأيا صائبا، حتى ولو كان فى الأمور الجوهرية، وله آثار عميقة على مجريات الأمور.

د. سامية منيسى

(١) أنظر: سنن ابن ماجة: كتاب باب حسن معاشرة النساء.